الفصل الثلاثون

راية استقلال

نجعل ختام الكلام عن العلم والتربية في الشرق قصيدة غراء، أتحفنا بها حضرة صديقنا الألمعي، والشاعر المصري المنقدح الزناد نقولا أفندي رزق الله. وقد جعل عنوانها "راية استقلال"، واتخذ في سرد معانيها الرائقة المبدأ السامي الذي اتخذناه مذهبا لنا في هذا الكتاب من الحض علي ورود مناهل العلم الصحيح، واتباع طرائق التربية الحقيقية؛ ليكون ذلك سبب استقلال باهر للشرق. فلذلك جعلناها ختاما لكتابنا، وهي بمعناها الرائق ومبناها الشائق:

حدثونا عن شرقنا بحديث ... عهده ليس في العصور الخوالي

قد مللنا حديث هند وسلمي ... ومللنا الوقوف في الأطلال

نحن عرب لكن ما نحن فيه ... فات أجدادنا الكرام الأوالي

دولة العرب أشرقت واهتدت ... بالعلم، والغرب في دجى وضلال

حفظت منه للأعاجم أشياء ... وزالت أشياؤها كالخيال

يا بني الشرق عصرنا ليس يغني ... القول فيه شيئا عن الأفعال

أيها القائلون ماذا فعلتم ... فلقد طال عهدنا بالمقال

أنت يا مصر هل ترجين حلا ... بعد حين لعقدة الاحتلال

قبل عهد المسيح كنت فتاة ... ذات حسن يسبي عقول الرجال

ثم ما زلت بعد ذلك حسنا ... تحليت بقلبها، والجمال

بك كم مر في الزمان غزاه ... سلبوا منك حيلة المحتال

لم يعود بَنوك إلا خضوعا ... وامتثالا لطالب الامتثال

تاجر الأجنبي فيك بربح ... عاجل ناله بلا رأس مال

وبنوك الكرام كلهم أصبح ... يشكو خوفا من الإقلال

أمة أنت أم عليك من الله ... قضاء بالرق والإذلال

لا لعمري فقد رأيت زمانا ... تهت فيه بالعجب، والاختيال

إنباتنا به الرسوم البواقي ... فعرفنا منها حياة البوالي

أين منك الذين شادوا من ... الأهرام ما لا تقوي عليه الليالي؟

كسف الجهل وجه شمسك فأصفر ... ومالت أنوارها للزوال

أوهن الجهل قوة لك كانت ... فوهت بالخمول، والانخذال

صرمت حبلك المعارف دهرا ... فاستعيدي منها زمان الوصال

وانهضي نهضة بشبان هذا ... العصر تدني إلى العلا، والكمال

وأقيمي جمعية يتولى ... شأنها كل سيد مفضال

ولها قائد حكيم إذا ما ... هي شاءت يقودها للمعالي

وأجلي يا مصر قدر كتاب ... دون أقواله عقود اللآلي

سوف تحيي أن كان فينا حياة ... فاهتدينا بأحكم الأمثال

ورخيص قدر الكلام مع الجهل ... ولكنه مع العلم غال

أيهـــا الشـــرقيون هـــلا رأيـــتم ... أن أبنـــــاءكم بأســـــوأ حـــــال

هـــذبوهم، وعلمـــوهم، وربـــوهم ... وكونـــــوا لهـــــم أجـــــل مثـــــال

قبـــل أن تنفـــذ المطـــامع فـــيكم ... قبـــل أن يصـــبحوا بـــلا آمـــال

أنـت في حاجـة إلى العلـم يا مصـر ... فجـــدي إليـــه ســـير الرجـــال

واطلبيـــه بهمـــة لـــيس فيهـــا ... أثـــــر للإمهـــــال والإهمـــــال

والبســـي تاج قـــوة، واتحـــاد ... تشـــتهي الانتظـــام فيـــه الـــلآلي

وارفعـــي بعـــد ذاك رايـــة مجـــد ... هـــي إن شـــئت رايـــة اســـتقلال